غزل الملـــوك

والقصيدة المنسوبة الى السلطان سليم

للأستاذ عبد الله مخلص

أراني مديناً بالشكر للأديب الموهوب الأستاذ حسن القاياتي عضو مجلس النواب لاهتمامه وعنايته بالصفحة التي ملأتها من غزل الملوك بالرسالة الغراء . وكنت أتمنى لو أن أعمالي الطويلة العريضة تمكنني من النزول على رأي الأستاذ الكبير والغوص في بحار الغزليين من الملوك والأمراء والتقاط دراريهم اللامعة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله

وأشكر للأستاذين الفاضلين إبراهيم أحمد أدهم ومحمود عزت عرفة ملاحظاتهما القيمة على القصيدة المنسوبة إلى السلطان الدالة على رغبتهما في استكناه الحقائق وخدمة الآداب فأقول :

إن السلطان سليما الأول الملقب بـ « ياوز » هو ابن السلطان بايزيد الثاني وحفيد السلطان محمد الفاتح ، وهو تاسع السلاطين العثمانيين وفاتح مصر والشام وبلاد العرب في آسية وأفريقية ، وهو الذي نقل الخلافة الإسلامية من بقايا العباسيين في مصر إلى السلطنة العثمانية فجمعت بينهما من أيامه . وقد توفي هذا السلطان العظيم سنة ٩٢٦ الهجرية الموافقة لسنة ١٥١٩ الميلادية

ويقول من ترجم له من المؤرخين إنه كان يقرض الشعر في اللغتين الفارسية والتركية ويأتون على ذلك بشواهد من شعره

إلا أن أحمد بن يوسف بن أحمد الشهير بالقرماني المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م يقول عن السلطان إنه كان يجيد اللغة العربية أيضاً وينظم نظماً بارعاً حسناً[1]

ومن هؤلاء المترجمين نامق كمال المعدود من أعاظم الأدباء والمجددين في الأدب التركي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م

فقد قال عن السلطان سليم في صدد إيثاره المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتفضيله اختيار الضرر الخاص في سبيل النفع العام ما تعريبه[2]:

« إن السلطان ضحى بنديمه يوسف الذي كان أعز عليه من نفسه ، والذي أعلن حبه له وافتتانه به بالأشعار الرائقة التي نظمها فيه ومنها :

لو لا الإله وحرّ نار جهنم لعبدته وسجدت بين يديه

ضحى به في سبيل مقاصده بعد ما أحبه حباً يقرب من العبادة ، وأظهر من بعده الصبر الجميل

فهذا البيت المفرد من القصيدة هو الدائر على الألسنة إلى الآن ، وهو الذي حملني على نسبة القصيدة بتمامها إلى السلطان سليم

أما المخطوط الذي نقلتها منه فهو ينسبها إلى السلطان أحمد ، ومن واجب الأمانة أن أنقل هنا عنوانها وهو : « ومما نظمه المرحوم المغفور السلطان بن السلطان السلطان أحمد خان »

أما السلطان أحمد الأول بن السلطان محمد الثالث فقد كان من السلاطين الذين دافعوا عن البلاد وذادوا عن حياضها ، وقد كان ينظم الشعر في اللغتين العربية والفارسية وقد توفي سنة ١٠٢٦ هـ — ١٦١٧ م

وإذا اعتبرنا أن المخطوط الذي نقلنا منه القصيدة قد ألف في سنة ١٠٤٢ هـ أي بعد وفاة السلطان « أحمد » بستة عشر عاماً فيكون مؤلفه أقرب إلى الزمن الذي عاش فيه صاحب القصيدة ؛ ويجب علينا أن نقرّه على نقله وأن نقول : إن هذه القصيدة هي للسلطان أحمد لا للسلطان سليم ما دمنا لا نجد مستنداً لدعانا سوى البيت الذي استشهد به نامق كمال . وهذه هي القصيدة التي نسبها محمد المحبّي المتوفى سنة ١١١١ هـ ١٦٩٩ م إلى السلطان أحمد[1] :

ظبي يصول ولا اتصال إليه جرح الفؤاد بصارمي لحظيه
ما قام معتدلاً وهزّ قوامه إلا تهتكت الستور عليه
يسقي المدامة من سلافة ريقه ويخصّنا بالغنج من جفنيه
عيناه ترجسنا وآس عذاره ريحاننا والورد من خديه
يا شعر في بصري ولا في خده إني أغار من النسيم عليه
عجبي لسلطان يعزّ بعدله ويجور سلطان الغرام عليه
لولا أخاف الله ثم جحيمه لعبدته وسجدت بين يديه

وأنت ترى أن هذه القصيدة تتألف من سبعة أبيات كما القصيدة التي نقلناها من المخطوط ونشرت في العدد ٤٦٢ من الرسالة الغراء هي أحد عشر بيتاً مخمّسا .

أما قصيدة طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح من وزراء

(١) أخبار الدول وآثار الأول صفحة ٣١٦
(٢) أوراق پريشان ترجمة السلطان سليم ص ٣٢٠

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر جزء ١ صفحة ٢٨٤

الدولة الفاطمية بمصر المتوفى سنة ٥٥٦هـ ١١٦٠م فهي[1] :

وسهفهف ثمل القوام سرت إلى ... أعطافه النشوات من عينيه
ماضي اللحاظ كأنما سلت يدى ... سيفي غداة الروع من جفنيه
قد قلت إذ خطّ العذار بعكّه ... في خدّه ألفيه لا لاميه
ما الشعر دبّ بعارضيه وإنما ... أصداغه[2] نفضت على خديه
الناس طوع يدى وأمرى نافذ ... فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فاعجب لسلطان يعمّ بعدله ... ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم القرار وإنه ... مستقبح لفررتُ منه إليه

وسواء أكانت القصيدة للسلطان سليم كما ظن قبلاً أو للسلطان أحمد كما ترجح معنا الآن ، فإن معانيها مقتبسة من قصيدة الملك الصالح ، بل إن الرابع والخامس والسادس من أبيات هذه القصيدة قد نقلت بالحرف تقريباً ، فلا وجه لاعتبار ذلك من قبيل توارد الخاطر ووقع الحافر على الحافر .

وبإضافة تلك الأبيات الثلاثة مع البيت القائل :

يا طيب ليلتنا ونحن بمجلس ... نهض الحبيب لنا على قدميه

إلى القصيدة الأصلية أصبحت أحد عشر بيتاً .

بقي علينا معرفة الذي خمس القصيدة وزاد فيها تلك الأبيات . وجواب هذا السؤال وارد في المخطوط من أنها للسلطان أحمد فيكون هو نفسه قد خمّسها بعد ما زاد عليها تلك الأبيات وبينها أبيات الملك الصالح الثلاثة

أما القول بأن السلطان سليماً لم يؤثر عنه نظم الشعر بالعربية ففيه نظر ؛ لأن المؤرخين يذكرون أنه عند ما عاج بحماة الشام في طريقه إلى مصر وحل ضيفاً مكرماً في الزاوية القادرية ارتجل بيتين من الشعر في مدح بني الكيلاني من أحفاد عبد القادر وكتبهما في جدارها . ثم إنه عند ما سمع خرير مياه نهر العاصي وصرير أخشاب النواعير التي تنتشل ماء النهر كأنها تئن نظم بيتين آخرين البيت الثاني منهما هو :

وإني على نفسي لأجدر بالبكا ... إذا كانت الأخشاب تبكي على العاصي

أما البيتان اللذان خطهما بيده على مقياس الروضة ، فهما ليسا له ، بل هما من قصيدة لأبي العلاء المعري هي[1] :

الموت ربع قناء لم يضع قدما ... والشخص مثل نجيب رام عنبرة
فيه امرؤ فتناها نحو ما تركا ... من المنون فلمّا سافها بركا
(والملك لله من يظفر بنيل غنى ... في حين أن قطب الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٩٠هـ — ١٥٨٢م
يردده قسراً وتضمن نفسه الدركا) ... يقول[2] :
(لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ... ورأيت بيتين بالعربي بخطه (أي خط السلطان سليم)
فوق التراب لكان الأمر مشتركا) ... الشريف كتبهما في علو المقياس في الكوشك الذي أمر ببنائه
ولو صفا العقل أنّى الثقل حامله ... لما افتتح مصر وسكن الروضة قد انحنى لطول الزمان مداده ،
عنه ولم ترَ في الهيجاء ممتركا ...
إن الأديم الذي ألقاه صاحبه ...
يُرضي القبيلة في تقسيمه شركا .
دع القطاة فإن تقدر لفيك تَبِت ...
إليه تسري ولم تنصب لها شركا
ولتنايا سي الساعون منخلقوا ...
فلا تبالي أنصّ الركب أم أركا؟
والحتف أيسر والأرواح ناظرة ...
طلاقها من حليل طالما فركا

اكذبيني

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

اكذبيني مرة أو فاكذبيني مرتين
ألفُ ألفٍ من أعاجيبك في غش ومين ،
لن تُبيد الفارق الخالد يا قرة عيني
والسموات التي بينك في اللب وبيني

***

اكذبيني واكذبيني ... كلما شئت اكذبيني
ما غناء اللب عندي ... إنْ أبَى أنْ تخدعيني ؟
أنا في ثروةِ وفرٍ ... منه مهما تسلبيني
أنقصيها ... أي ضير ؟ ... درهماً أو درهمين !!

عباس محمود العقاد

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٩
(٢) في الهامش المحفوظ أهدابه

(١) لزوم ما لا يلزم ج ٢ ص ١٥٦
(٢) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٢٣ .

ومال إلى لون البياض سواده ، وكان هذا الكوشك محترماً مقفلاً لا يصل إليه أحد لعظمة بانيه ، ولا يتبذل بالدخول إليه لعظمة راعيه ، فدخلت إلى مصر فى سنة ٩٤٣ ، وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكلر بكى مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحباً لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي ، فطلع وأطلعنى معه فى صحبة خسرو باشا المذكور ، فرأيت على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر إلا بتأمل هذين البيتين :

الملك لله من يظفر بنيل منى يردده قسراً ويضمن بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم . ولعمرى إن كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البراعة ، ونهاية فى التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه — رحمه الله — فى اللسان العربى أيضاً ، لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربى البليغ النسج ؛ وإن كان قد تمثل بهما وهما لغيره ، فهذه أيضاً مرتبة علية فى حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الأشعار العربية وذوقه لها ، وهذا القدر يستكثر على علماء الروم (أى العثمانيين) ، وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلاً عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ؛ والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحسن آدابه من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودين منهم ، ولا يُعدّ هذا نقصاً فيهم ، لأن فهم الشعر العربى على وجهه كما ينبغى قليل أيضاً فى علماء العرب ، إلا من توغل منهم فى الأدب ، وتعب فى تحصيله ودأب

ويقول القرمانى[1] :

ولما كان (أى السلطان) بمصر كتب على رخام فى حائط القصر الذى سكن فيه بخطه فقال : ونقل البيتين السابقين وقال محمد عبد المعطي بن أبى الفتح بن احمد بن عبد الغنى بن على الإسحاقي المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م ما قاله قطب الدين الحنفى وكأنه نقله عنه[2] .

أما نامق كمال المتقدم ذكره فيقول عن هذين البيتين ما تعريبه[3] :

لما ولى السلطان سليم الملك أنشد القطعة الشعرية التالية وهى من بنات أفكاره ، وسجد أمام العظمة الإلهية معلناً عجزه ومسكنته فقال :

الملك لله من يظفر بنيل منى يرد قهراً ويهوى نفسه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وقد نقلنا البيتين المذكورين لوجود بعض المباينة فى البيت الأول بين قول أبى العلاء المعرى وبين ما نقله قطب الدين الحنفى والقرمانى ونامق كمال .

هذا ما استطعت الإلمام به من أمر القصيدة المنسوبة إلى السلطان سليم بسطته للقارئ الكريم ، وفوق كل ذى علم عليم

عبد الله مخلص

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣١٦
(٢) أخبار الدول فيمن تصرف من أرباب الدول ص ١٤٦
(٣) أوراق بريشان ترجمة السلطان سليم ص ٣٢٥

صدر عدد جمادى الآخرة ومن أهم موضوعاته :
القرآن والعلم . الموسيقى والايمان . جندى فى المحراب . لحظات مع العرب . اكتشاف جرثومة العقل . الرجل الأسير فى قبضة المرأة . أثر البيئة فى عقائد الشعوب . إلى أين تتجه قوى الشباب ؟ بقلم معلم الشعب . كهان الطليعة . على قمة الصفاء

القصة فى المجتمع الإسلامى

وفى هذا العدد ، لأول مرة فى الصحف العربية ، تبدأ الأنصار فى نشر سلسلة أدبية خطيرة المدلول تتضمن نقد القصص الأوربية المشهورة فى ضوء العقل الاسلامي ، وبمقياس القواعد والنظم والآداب التى ينهض عليها المجتمع فى أمة إسلامية صحيحة
وقد استهل الأستاذ صادق الحكيم هذه السلسلة بنقد القصة المشهورة « تايس » لأناتول فرانس ، مثبتاً فى هذا النقد « أن عقدة القصة تنحل من فورها فى ضوء المجتمع الاسلامى الخالص ، لأن خيوط هذه العقدة تجمع دائما فى ظل مشاكل لا وجود لها فى عقل المسلم .
مكاتبات الأنصار بعنوانها : ٢٤ شارع البستان . القاهرة